متوترة، وقد صور غسان كنفاني هذه العلاقات في كلّ رواياته، وكانت في أغلبها تتسم بالعدوانية ومحاصرة البطل. ففي «رجال في الشمس»، يطبق المكان على الأبطال حتى يلقي بهم جثثاً فوق القمامة؛ وفي «عائد الى حيفا»، يتحوّل الى سوط تأنيب ويصبح كلّ مشهد يشاهده البطلان وخزة ضمير؛ وفي «أم سعد» يصبح مكتب الراوي سجناً، كما يتحول منزل سعاد في «برقوق نيسان» الى مصيدة. ولكن، الى جانب المكان المعادي، يوجد المكان الذي يتعاطف مع البطل ويحميه ونراه بخاصة في رواية «ما تبقى لكم»؛ حيث تنقذ الصحراء حامد هذا العاشق الصوفي الذي تجاوز في عشقها كلّ انتماءاته السابقة، تنقذه من أدران الماضي التي أحاطت به مدة ست عشرة سنة، ومن الشعور بالذل والاستسلام. كما نرى التلال تحمي العاشق في رواية «العاشق» من براثن الكابتن بلاك رغم اصراره العنيد في البحث عليه.

ان تصوير المكان، هذا المقوم الكلاسيكي الأساسي في الروايات الواقعية، يفقد الكثير من سماته، فهو في روايات غسان كنفاني ليس مجرّد اطار للأحداث، ولا هو مجرّد عامل من عوامل ايهام القارىء بواقعيتها، وليس هو مجرد مستقر للبطل بل هو عنصر دافع للحركة، هو قوة فاعلة يمكنها أن تؤثر في سير الأحداث وأن تكيف حياة البطل أيضاً. ويمكن أن نذكر هنا بقيمة المكان في رواية «العاشق»؛ حيث أصبح هو الذي يخلق شخصية البطل ويدفعه الى مغامرات جديدة، فكلما انتقل البطل الى مكان جديد تغيرت صفاته بدءاً من عمله واسمه ونظرة الناس اليه، وصولاً الى تحديد مصيره. لكن أوضح صورة لقيمة المكان في تركيب الرواية تبقى صورته في «ما تبقى لكم»، حيث يقرر غسّان أن الصحراء بطل وأنها بتفاعلها مع حامد تجعله يلقي الساعة ويلقي معها أوهامه الزائفة ويواجه عدوه الحقيقي ويخلق من جديد. ومن هنا، يمكن أن نقول انّ غسّان كنفاني، في كتابته، لا يلتزم طريقة محددة، وخاصة لا يلتزم النمط المتعارف، وإنما يحاول أن يطوع التقنيات الفنية لما تجيش به تجربته من معان خصبة وآراء جديدة. وما ذكرناه عن الاطار المكاني يصح أيضاً عن الاطار الزماني، فالزمن عنده يفقد طابعه الفيزيائي ويصبح قوة فعالة فائقة تطارد الأبطال وهي حاسمة في تحديد مسار حياتهم، فمجرد زيادة بعض دقائق أودت بحياة الأبطال في «رجال في الشمس».

كما أن الساعة، في «ما تبقى لكم»، هي النعش الذي يطبق على البطلين بما يمثله من ذكريات الماضي. وقد تكون هذه القوة إيجابيّة فتدفع الأبطال الى التغيير.

فحامد يلقي الساعة ويتحرّر من هذا القيد ويواجه عدوه، كما أنّ أم سعد ترى في عشرين سنة دافعاً كافياً لتنتقل من خيمة الى أخرى أو على الأقل أن تبعث بابنها عوضاً عنها.

أمّا الزمن من حيث هو ترتيب لأحداث الرواية، فاننا نلاحظ فيه تداخلاً بحيث يختلط الماضي بالحاضر والمستقبل، فالرواية لا تبدأ مع بداية الأحداث بل تبدأ وقد سبقتها أحداث كثيرة كيفت حياة البطل. ويستعمل غسان كنفاني في استحضارها أسلوب التداعي والمونولوج. ولا نجد سيراً خطياً للأحداث بل تتداخل الذكريات والأحلام لتكشف الحاضر وتفسره، وغسان كنفاني لا يهتّم بالزمن المطلق في الرواية فكثيراً ما لا نعرف أية أحداث